على هامش المؤتمر الدائم لقضايا الوطن العربي

حول الوحدة والاتحاد

بقلم شبلي العيسمي

بعد ان عرضنا في المقال السابق (*) وجهات النظر المتعددة حول اسباب التجزئة في الوطن العربي ، وذكرنا الآراء المختلفة التي تتبناها الفئات القومية وترى فيها سبيلاً للوحدة ، نعود لنذكر في هذا المقال الشروط الضرورية للوحدة والوسائل العملية المؤيدة لتحقيقها كما تبدو لنا .

وقبل ان نخوض في هذا الموضوع لا بد من الاعتراف بأنه موضوع شائك دقيق ، وأن الآراء التي سنعرضها حوله تفتقر الى جانب من الدقة والتركيز . وعلى الرغم من ذلك كله فقد اردنا اثارته والخوض فيه ، راجين من هذه المحاولة ان نثير اهتمام المسؤولين والمفكرين العرب ، وان نحملهم على تقديم مالديهم من جد وجهد لتوضيح هذا الموضوع الخطير في اذهان افراد الشعب وحملهم على تبنيه والنضال من اجله .

***

نعتقد انه من الاصح ان يطرح موضوع الوحدة والاتحاد بالشكل التالي :

أ ــ الاوضاع الاقتصادية في الوطن العربي سيئة فاسدة ، وتوزيع الثروات فيه جائر غير عادل لانه يقوم على اسس اقطاعية رأسمالية تستطيع الاقلية في ظلها ان تستثمر الاكثرية وتبقيها مغلولة اليد مشلولة الانتاج . ثم ان هذا الوطن العربي غني بالامكانيات البشرية والخيرات الطبيعية ، ولكن الشعب فيه فقير متخلف في وسائله وانتاجه .

وينتج من ذلك ان حاجة العرب ماسة لتحقيق الاشتراكية .

ب ــ اما من الوجهة السياسية والاجتماعية فنلاحظ ان الفئات العاملة بالسياسة لا تزال ــ في اكثريتها ــ ضعيفة الثقة بنفسها وبامكانات امتها ، بل يكاد بعضها يرى في الاستعمار قدراً لا يمكن للعرب ان يتخلصوا منه ولا بد من مسايرته والاعتماد عليه ، كما يرى ان قوى الرجعية لا تزال مسيطرة على الثروة والتوجيه ويصعب القضاء عليها في هذه المرحلة على الاقل .

واذا اضفنا الى ذلك كله تلك القيود الاجتماعية البالية والاعتبارات التقليدية المهترئة التي ما زالت تفعل فعلها في عرقلة التحرر ، ادركنا الحاجة الماسة الى جيل عربي جديد منظم ، يتوفر فيه الوعي والايمان والشعور بالمسؤولية ، جيل يثق بنفسه ويؤمن بقدرة امته على التحرر من تحكم الاستعمار والرجعية وسيطرة الاوضاع الاجتماعية البالية ، ولن يتم ذلك الا بان نجعل من الحرية شعاراً نناضل في سبيله ونرخص النفس من اجله .

ج ــ اما من الوجهة القومية فنلاحظ ان بقاء التجزئة بقاء للاستعمار وتدعيم لسيطرة الاقلية المستغلة التي تبني قوتها على حساب مصلحة العرب العليا ، ليس هذا فحسب بل ان بقاء التجزئة بقاء للضعف والذل واستمرار للفشل والانحلال . ولهذا كان من الطبيعي ان تكون الوحدة العربية هدفاً اساسياً للعرب في هذه المرحلة التاريخية .

وينتج عن عرضنا للموضوع بهذا الشكل ان الحرية والاشتراكية والوحدة العربية ثلاثة اهداف مترابطة متلازمة تجمعها غاية واحدة هي تحقيق الانبعاث العربي المنشود . كما ان هذه الاهداف الثلاثة ليست غاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة تؤدي بعد تحقيقها ــ الى النهضة الشاملة العميقة حيث تنطلق مواهب العرب الدفينة وتتفجر امكاناتهم الحبيسة ويستطيعون عندئذ ان يساهموا في بناء الحضارة الانسانية بما عرف عنهم من خصب الحيوية والابداع .

ونحن اذ نعتقد بان هذه الاهداف الثلاثة كل موحد متشابك لا يصح فصله وتجزئته فلأن تحررنا من سيطرة الاستعمار والرجعية يتجلى في تحقيق الوحدة والاشتراكية .

« ان الحاجة ماسة الى جيل عربي جديد منظم ، يتوفر فيه الوعي والايمان والشعور بالمسؤولية ، جيل يثق بنفسه ويؤمن بقدرة امته على التحرر من تحكم الاستعمار والرجعية وسيطرة الاوضاع الاجتماعية البالية . ولن يتم ذلك الا بان نجعل من الحرية شعاراً نناضل في سبيله ونرخص النفس من اجله »

* راجع العدد الثاني عشر من السنة الماضية من «الآداب» .

كما ان تحقيق الاشتراكية يحطم قيود الفقر المكبلة للمواطنين ويضاعف من قدرتهم على النضال في سبيل الحرية والوحدة . ومن البديهي كذلك ان تحقيق الوحدة بين الاقطار العربية يضاعف من قواهم النضالية في سبيل الحرية .

***

بعد هذه الاشارة الى الملاحظـــات الآنفة الذكر والتي نعتبرها اساسية في معـالجة الموضوع نعود لنحصر البحث في الاجابة عن السؤال التالي :

ما هي الشروط الضرورية للوحدة ومـــا هي الوسائل العملية المؤدية لتحقيقها ؟

ا ـ **لعل الشرط الاول** هو وضوح الهدف وقوة جاذبيته للشعب وقدرته على استقطاب الجمهور بحيث يشعر بانه حاجة ماسة له وبان تقدمه رهن بتحقيقـــه . غير ان ذلك كله لن يتحقق ما لم تتوفر الاسس التالية :

اولاً : ان يكون الهدف ملائماً لاتجاهات العصر الحديث ومسايراً لمنطق التطور والعلم .

ثانياً ـ ان يكون معبراً بصدق وعمق عن حاجات الامة ومصالحها الحيوية .

ثالثاً ـ ان يقوم على اساس من الدعـــاية المركزة والتنظيم المحكم .

ولنرَ هل تتوفر هذه الاسس في الوحدة العربية ؟

ا ـ من المعروف ان الاستعمار يخسر ويتراجع في هذا القرن ، وتضعف قوته في عرقلة الوحدات القومية ، ثم ان اتجاهات الشعوب في العصر الحديث ومنطق التطور لا تسير في الاتجاه الذي يخلق الكتل القوية على اسس قومية فحسب ، بل وفي الاتجاه الذي يقود لتشكيل نوع من الاتحادات بين امم مختلفة لا يربط بينها سوى المصلحة والحاجة لتكون القوة القادرة على رد الاعتداء من دولة كبرى .

وما دام الامر كذلك ، فمن الطبيعي ان يكون نضال العرب من اجل الوحدة ملائماً لاتجاه العصر الحديث ومنسجماً مع منطق التطور السياسي والاجتماعي بين الامم .

ب ـ اما الاساس الثاني ، وهو ان تكون الوحدة معبرة بصدق وعمق عن حاجة العرب اليها ، فامر لا يستطيع انكاره وتجاهله الا كل مكابر مأجور او شعوبي موتور ، ذلك لأن الشعب العربي ، بجميع هيئاته ـ من عمال وفلاحين ، وتجار وموظفين لم يقف عند حد الشعور بالحاجة للوحدة بل تعداه الى العمل من اجلها والنضال في سبيلها ، وخاصة بعد كارثة فلسطين حيث توفرت القناعة بضرورة توحيد الجهود واعتبار النضال الموحد شرطاً في تحقيق الوحدة .

ج ـ اما من حيث التنظيم والدعاية المركزة وهما الاساس الثالث لقوة الهدف ووضوحه ، فانهما يفتقران حتى الآن الى قسط كبير من الدقة والتركيز . ونستطيع القول مع الأسف الشديد ان الفوضى والارتجال وطغيان الأقوال على الأعمال لا تزال الطابع المميز للمنظمات السياسية . ولكن كثيراً ما يولد التنظيم من داخل الفوضى كما يولد الفرج من الشدة او الأمل من اليـــأس . والواقع ان منظمات سياســـية ظهرت حديثاً في ارض العرب من خـلال هذه الفوضى . واخذت تناضل في سبيل الوحدة على اساس من العمل الحزبي المنظم القائم على الوعي للاهداف والايمان بها وتركيز الدعاية لها ، ثم السعي للوصول الى التنظيم المحكم الدقيق المتلائم مع جسامة الهدف .

٢ ـ **اما الشرط الثاني للوحدة** : فهو معرفة الاسلوب الملائم لهذه المرحلة التاريخية من حياة العرب ووضوح هذا الاسلوب بين قادة الشعب وقاعدته :

اذا علمنا ان فساد الاوضـاع في الوطن العربي عام شامل لجميع مناحي الحياة ، وان التخلف والجمود متغلغلان في شتى المجالات ، في الفكر والسياسة والاقتصاد ، واذا علمنا ان الحاجة اصبحت ملحة لتغيير هذه الاوضـــاع تغييراً جذرياً شاملاً ، ثم اضفنـــا الى ذلك كله ان هذا العصر عصر الذرة والسرعة الهائلة ، ادركنا عندها ان اسلوب التطور العادي والاصلاحات التقدمية الجزئية لا يكفي بل لا يفي بالحاجة ولا يتلاءم مع جسامة الهدف المنشود ، وادركنا كذلك ان الاسلوب المطلوب الملائم لهذه المرحلة التـــاريخية انما هو الاسلوب الانقلابي الذي يعتمد على النضال الشعبي المستمر العنيد ، الاسلوب الذي يتخطى السطح ويتجاوز القشور والمظاهر ليغوص الى الاعماق ويبدل هذه الاوضاع المستشرية تبديلاً يتناول الاسس والجذور ، ولا يقتصر على بعض المشاكل والامور بل يشمل في تبديله جميع مناحي الحيـــاة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وبعد : فان الذين يعتقدون بان المناورات السياسية

والمهارة الدبلوماسية تحقق للشعب في عام واحد مالا يحققه النضال الشعبي في عدة اعوام ، وان الذين يصرفون اكثر اوقاتهم وجهودهم في العمل السياسي ويهملون توضيح الاهداف القومية للشعب وتنظيم قواه على اساس العمل الحزبي المنظم والاسلوب الانقلابي ، ان هؤلاء يرتكبون خطأ فادحاً اذا استمروا في مثل هذا السلوك . ويبدو ان اختيار هذا الطريق السياسي راجع الى السهولة وسرعة الحصول على نتيجته الموقته ، في حين ان طريق النضال الشعبي المرتكز على الوعي والايمان والتنظيم هو الطريق الرابح المضمون بالرغم من طوله وصعوبته .

٣ – **اما الشرط الثالث للوحدة** : فهو ايجاد الوسائل العملية والادوات المنفذة المتكافئة مع الهدف : فالوحدة العربية هدف ضخم ولا شك ، والعرب هم الاداة المنفذة له او الوسيلة المؤدية لتحقيقه . ومن الطبيعي الا تتوفر في العرب كلهم الصفات الضرورية التي تؤهلهم لخدمة هذا الهدف . ولكن لا بد وان يظهر فيهم جيل عربي جديد ، هو جيل الانبعاث تتوفر فيه بعض الصفات والمؤهلات التي تجعله في مستوى الهدف وتمكنه من تحقيقه . ومن هذه الصفات :

ان يعي مهمته التاريخية ويشعر بالمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقه ، وان يكون شديد الثقة بنفسه وبقدرة امته على التجدد والنهوض ، وان يقوم على البذل والتضحية والنضال بعقله وقلبه وان يسبق عمله قوله ، وان يرتفع بالتدريج الى الحد الذي يشعر معه بلذة العمل والنضال من اجل الوحدة ، ويشعر بالقلق والغم من الجمود والفراغ . فاذا ما توفرت هذه الصفات في عدد من المواطنين ، حق لنا ان نعتبرهم جيل النضال والانبعاث ، وان نطمئن لقدرتهم على تحقيق الوحدة ، ماداموا هم قد ارتفعوا الى مستواها واصبحوا متكافئين معها . اما اذا لم تتوفر لديهم ، فمعنى ذلك ان الوسيلة لاتزال ادنى من مستوى الهدف ، وان هذا الجيل سينوء بحمل الوحدة كما ينوء الجسم الضعيف الهزيل بحمل الاثقال العظيمة .

ولكن قولنا بان الصفات المذكورة يجب ان تتوفر في الجيل العربي الجديد حتى يصبح جيل النضال يقودنا الى السؤال التالي :

ماهي السبل المؤدية لايجاد هذه الصفات والحصول عليها ؟ .

صحيح ان الاستعمار لا يزال ناشطاً يبث سمومه في الوطن العربي وينشر بذور الانحلال بين المواطنين ، وان قوى الرجعية لاتزال مسيطرة على مقدرات البلاد ، وان الكثيرين يتهافتون على المادة ويتسابقون على الرفاه والسعادة بدلاً من الاهتمام بالواجبات القومية والمثل العليا ، وان ثقتهم بالعمل التعاوني والسياسي كادت تنعدم وتتلاشى . وصحيح ان التعليم لا يزال مجرداً مفتقراً الى التوجيه القومي الصحيح ، الامر الذي يفسح المجال لتسرب النظريات والمبادىء الغربية وغزوها للمجتمع العربي في الوقت الذي لا تعبر فيه عن حاجاته تعبيراً حياً صادقاً ولا تقدم حلاً جذرياً لمشاكله بقدر ما تخلق من ازمات واضطراب في العمل القومي ، وصحيح انه كثر الغش والتلاعب والتضليل في الحياة السياسية والاجتماعية ، وان الصدق قل والاقوال طغت على الاعمال وان نزعة الاستهتار واللامبالاة متفشية سارية بين عدد غير قليل من المواطنين . صحيح ذلك كله ، ولكننا نلمح في ارض العرب بعض المظاهر والبوادر التي تدعو الى التفاؤل والاطمئنان للمستقبل ، منها ان شعور العرب بضرورة التخلص من هذه الاوضاع الفاسدة يتزايد ويشتد يوماً بعد يوم ، وهذا سيجهد بدوره لاكتشاف الوسائل المؤدية لقلب هذه الاوضاع . ومنها ان حركات قومية جديدة بدأت تعمل

الى مدراء المدارس واساتذتها

تقدم لجنة التأليف المدرسي في بيروت

أحدث الكتب وادقها انطباقاً على نظريات التربية الحديثة .

•

كيف اكتب : سلسلة حديثة في الانشاء العربي

الجزء الاول ٩٠ — الجزء الثالث ١٣٥

« الثاني ١١٥ — « الرابع ٢٠٠

التعريف في الادب العربي

للاستاذ رئيف خوري

الجزء الاول ٦٥٠

الجزء الثاني ٦٥٠

الجديد في دروس الاشياء : سلسلة كتب حديثة في العلوم

الجزء الاول ٨٠ — الجزء الثالث ٢١٠

« الثاني ١٢٠ — « الرابع ٣٠٠

على اساس من الوعي والايمان والتنظيم وادركت ان الانقلاب هو السبيل المفيد لهذه المرحلة التاريخية .

ومهما يكن من امر فاننا نعتقد ان انجع الوسائل وانفعها في جعل الوسط ملائماً والارض خصبة لنمو الصفات والمميزات المطلوبة للجيل العربي الجديد ، هما وسيلتان ، الاولى : اعادة النظر في اسلوب التربية والتعليم في الوطن العربي ، ذلك لان هذا الأسلوب يستند الى حشو المعلومات الكثيرة والهاء الطالب في حفظها وترديدها دون ان يفسح له المجال الفردي والملاحظة الشخصية والتفكير الهادىء المرتبط بتجارب الحياة وواقعها .

ان مهمتنا التاريخية تنحصر في النضال لتحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة العربية ، في حين ان مهمة المجتمعات الغربية هي الاستمرار في النمو والتكامل والمحافظة على التطور الطبيعي عن طريق الاستزادة من العلم ومضاعفة الانتاج اللذين يضمنان لهم الاستقرار والرفاه ، والعيش الهانيء السعيد . ومعنى ذلك ان مجتمعنا العربي يختلف الى حد كبير في اوضاعه واهدافه عن اوضاع المجتمعات الغربية واهدافها ، مما يحتم علينا ان نخصص الوقت الكافي لتوضيح مشاكل الأمة العربية امام الطالب ووضعه وجهاً لوجه امام تجارب الحياة والمجتمع الذي ينتسب اليه ، وان تغرس في نفسه — بالتوجيه القومي الصحيح — الفضائل التي تجعل منه رجلاً مناضلاً متفائلاً فعالاً قوي الأرادة شاعراً برجولته ومسؤوليته ، واثقاً بنفسه وبأمته ، مفضلاً فكرة الواجب على فكرة السعادة ، مؤمناً بان جيله جيل التعب والنضال ، لا جيل الرفاه والاستقرار .

اما الوسيلة الثانية : فهي ظهور منظمة قومية شعبية اشتراكية نضالية تعبر بصدق وعمق عن حاجات الأمة العربية ، مزودة بقوة الفكر الحديث ، مسلحة بالعقيدة والايمان ، مستندة الى الدعاية القوية والتنظيم المحكم ، وان يكون اعضاؤها منسجمين في سلوكهم مع عقيدتهم ، متكافئين في صفاتهم مع اهدافهم . وعندما تقوى هذه المنظمة ويشتد ساعدها في الوطن العربي ، وعندما تستطيع ان تستقطب الشعب حولها وتركز اهداف الامة في اذهانها وتدفعها الى الايمان بها والنضال في سبيلها ، تستطيع عندئذ ان تفجر ما في الشعب العربي من قوى غنية وافرة وامكانيات خصبة زاخرة ، قادرة بالتالي على تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة العربية .

السويداء — شبلي العيسمي

دار المعارف بمصر

تقدم

تفسير

القرآن الكريم

للاساتذة

محمود محمد حمزه ، وحسن علوان ، ومحمد احمد برانق

يمتاز هذا التفسير بأنه :

- تفسير معاصر يسهل على ملايين من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يفهموا كلام الله من اخصر طريق وايسر سبيل .
- يتناول شرح الالفاظ الغريبة والتعابير الخاصة ، ثم ايضاح لمجمل المعنى في اسلوب سهل واضح وفي تسلسل للنسق القرآني ، حتى تكاد تكون الايات مترجمة الى لغة سهلة لا عسر فيها ولا غموض .
- يجاري ما استجد في العلم وما انكشف من اسرار الكون ويذكر اسباب نزول الايات . ويربط بين التشريع والتاريخ .

فهو كتاب لا غنى عنه يسد حاجة
الشباب والناشئة وحاجة
جماهير القراء في كل مدرسة
او منزل اسلامي
صدر الكتاب في ٣٠ جزءاً
ثمن الجزء الواحد ليرة لبنانية .

يطلب من
جميع المكتبات الشهيرة
ومن متعهد التوزيع ببيروت

دار المعارف ببيروت

لصاحبها أ . بدران

بناية العسيلي — السور ص . ب ٢٦٧٦